العمرة عند العراقيين

Les Coiffures d'hommes en Mésopotamie.

تمهيد

اذا جاور قوم قوماً آخر يختلف عنه في لبسه واكله وشربه ونومه وقعوده وقيامه وامور معيشته ولسانه ونحو ذلك لا يبطأ ان يدخل شيئاً من احوال جاره في شؤونه ، وكلما اعتقد فيه السيادة عليه كثر اقتباسه منه . وهكذا الامر في اهل العراق . فانهم لما خالطوا الفرس والترك وسائر الاعاجم اخذوا منهم شيئاً كثيراً مما يتعلق بشؤون الفنهم ومجتمعهم ولاسيما بما يتعلق بلباسهم . وها نحن نذكر هنا ما يتعلق بعمرة الرجل اي بما يلبسه على راسه وهي لفظة عربية فصيحة يقابلها عند الافرنج كلمة Coiffure فنقول :

١ — العرقين

بفتح العين والراء المهملتين واسكان القاف وكسر الجيم المثلثة الفارسية واسكان المثناة التحتية وفي الآخر نون ، لفظة تركية فارسية الاصل مركبة من كلتين وهما : « عرق » بالمعنى المشهور العربي وهو رشح الجلد . و « چين » الفارسية بمعنى جامع اولام . ومحصل معناها : جامع العرق اولامه . وبعضهم يزيد على آخره هاء فيقول « عرقچينة » وهو قليل . والمشهور الاول . ويرادبها سكبة calotte اي خرقة تقور للراس تكون في اغلب الاحايين من نسيج القطن تلبس تحت الطربوش او الفينة (اسم الطربوش عند العراقيين) . وقد تلبس وحدها في المنزل ايام الحر الشديد ، او قد تلبس ويلف عليها العمامة او توضع عليها الكوفية المعروفة عند العراقيين باسم الكفية : Bonnet de toile fine qu'on porte au-dessous d'un autre bonnet ou d'une autre coiffure pour absorber la sueur. ولكون هذه العمرة تتخذ لكي تمتص العرق عرفت ايضاً باسم العرقية بفتح الحرفين الاولين . قال صاحب التاج في مستدرك ع ر ق : « العرقية محركة : ما يلبس تحت العمامة والقلنسوة مولدة . » اه . وكان اهل العراق اول من اقتبسها عن الفرس لمجاورتهم اياهم

ولشدة حر صقعهم. ثم انتقل بها قوم الى ديار الشام فتعلم الشاميون منهم اتخاذها ولهذا سموها « عراقية » نسبة الى العراق . قال فى محيط المحيط : العراقية من ملابس الراس تلبس غالباً تحت الطربوش . » ثم زاد على ذلك قائلاً : والمشهور عند العامة العرقية » وضبطها باسكان الرآء .

وقد جاءت العرقية فى بعض نسخ كتاب الف ليلة وليلة (راجع طبعة برسلو ٩:٢٦٠ و٤ : ٣٢٩) وقدوردت مرة بصورة عرقية واخرى بصورة عراقية . على ان « العرقية » اقدم ذكراً فى كتب المولدين من « العراقية » فقد جاءت العرقيات فى كتاب اللطائف للثعالبى (ص ١١٢ س ١٠) وقال عنها انها تصنع فى طبرستان .

وكان اهل الشام يريدون سابقاً بالعرقية غير ما يريدون بها اليوم . فقد ذكر روجه فى كتابه « الارض المقدسة » (١) ما تعريبه : تلبس المرأة على راسها نوعاً من التاج يكون من فضة ويسمونه عرقية (باسكان الرآء) ويكون بهيئة مخروط . وقال فى ص ٢٠٤ : « على رؤوس نساء امرآء البادية تاج من فضة مخروط الشكل يلفف عليه لفافة من الحرير الاسود مطرزة باللآلئ والحجارة الكريمة . » اه . فيوخذ من هذا الوصف ان ما كان يسمى عرقية سابقاً هو المسمى عند اللبنانيين بالطرطور الذى حظر استعماله الكهنة بعد حادثة ١٨٤١ و١٨٤٥ . وقد جاءت العرقية بهذا المعنى فى كتاب الف ليلة وليلة قال : وعلى راسها خوذة بالذهب مطلية ، وعرقية فولاذ وزردية . وفى بعض النسخ وردت كلمة بيضة بدلاً من عرقية .

فالعرقية باسكان الرآء لغة اهل الشام . وبفتحها لغة اهل مصر والمغرب وبعض اهل العراق .

واهل مصر يسمونها ايضاً « طاقية » وقدوردت فى كتب المولدين وذكرها ابن بطوطة فى رحلته والمقريزى فى كتابه الخطط والآثار . ومن اسمائها المعرقة (وزان مدرسة) وكان يعرفها بهذا الاسم بدو ديار الشام قبل نحو قرن . اما اليوم فاللفظة بهذه الصورة عامة عندهم . ومن اسمائها الحالية

(١) Roger. — La Terre Sainte, p. 257.

« الحدرية » (بكسر الاول) ويعرفها بهذا اللفظ اهل بادية العراق وبعض سكان مدن العراق كاهالي الشطرة والحي والناصرية أوالمركز وسوق الشيوخ والكلمة مشتقة من حدر الجلد العرق : اذا سال به . فهي والعرقية من معنى واحد وان اختلف المبنى . واما لفظة العرقجين فيعرفها اهل مدن العراق الكبيرة كبغداد والبصرة والنجف وكربلاء وبعض اهل البادية الذين يختلفون الى المدن .

وتختلف هيئة العرقجين باختلاف اهل المدن واعمارهم . فمن العرقجينات ما هو طويل محرب كثير النقش والتطريز والتزويق . وهذا تتخذه غالباً الفرس والهنود الموجودون في العراق . — ومنه ما هو على هيئة نصف كرة . وهذا يلبسه العرب العراقيون وبعض الفرس الموجودين بين ظهرانينا . — ومنه ماهو على شكل مثلث تسميه النساء العراقيات « كاووريه » بكاف فارسية مثلثة يليها الف بعدها واوان : الاولى مضمومة والثانية ساكنة يعقبهما رآء مهملة ثم ياء مشددة ثم هاء نسبة الى الكاوور وهو عند العراقيين المسلمين اسم النصارى والكفار والمجوس . وقد نسبت اليهم كأنهم هم الذين اول من استعملها على هذه الهيئة . والمسلمون يتخذون هذا النوع من السكبة لاطفالهم خاصة .

٢ - الفينة والطربوش والفيس والفس والشاشية والغفارة

العراقيون يسمون الطربوش (فينة) بفاء مكسورة وياء مثناة تحتية ساكنة ونون مفتوحة وهاء في الاخر . والطربوش هو الاسم الشائع في سائر البلاد العربية اللسان . والفينة تصحيف فينة Vienne بفاء مثلثة وهي اسم حاضرة بلاد النمسة لان اهل هذه الديار كانوا يجلبونها في السابق من تلك العاصمة فاضيفت اليها ثم حذف المضاف على ما هو مستفاض في لغة العرب . اما الطربوش فهو تصحيف سربوش اي غطاء الراس بالفارسية . قلبت فيها السين تاء على لغة شائعة عندهم (لغة العرب ١: ٢٥٣ و ٢: ١٧٦) ثم فخمت التاء فصارت طاء فقالوا طربوش كما في القتر والقطر وهرت الثوب وهرطه . والمتلئب والمطلئب وغيرها كثير . واما الفيس فهو كلمة فاس بالادلة وفاس Fez قاعدة مراكش وكان يجلب منها ايضاً هذا النوع من العمرة ، فاضيفت اليها . ثم حذف المضاف كما جرى الامر

فى فينة . وبعضهم يقول قس وزان تل . ولم يرد من هذه الالفاظ فى كتب المولدين الا كلمة طربوش.من ذلك فى بعض نسخ كتاب الف ليلة وليلة فى قوله وكان عليه كما ذكرنا الطربوش والشاش . — ونظن ان لفظة الفينة قديمة ايضاً فى العراق لان الرحالة الافرنسى اوليفيه المتوفى سنة ١٨١٤ يقول فى رحلته (١) فى كلامه عن نساء بغداد : وفى زينتهن المألوفة يكون على رؤوسهن فينة سوداء من القطيفة (المخمل) تتدلى الى الورآء لها عنكولة (بسكولة اوشرابة) من الابريسم اومن الكلبدون (خيوط الذهب) فان كانت العنكولة من خيوط الذهب (الكلبدون) فظاهر الفينة يكون مغشى بالقصب (بشريط الذهب) وتثبت هذه الفينة على الراس بلفافة من شال قشمير . » (٢)

واما لفظة فيس او الاصح قس فماخوذة من التركية لان الترك يلفظون مدينة فاس التى كانت تصنع فيها هذه العمرة « قس او فيس » وعوام بغداد يقولون الى يومنا هذا « فيس ربكى » اى (لون الطربوش) اذا ارادوا ان يعرفوا لوناً من الالوان الحمراء يكون بلون الطربوش .

وفى سابق العهد كان اهل مصر يسمون هذه العمرة (شاشية) كما يعرفها بهذا الاسم اهل المغرب الى يومنا هذا . وهم يعرفون ايضاً من مراد فاسها الطربوش . — واما عرب الاندلس فكانوا يسمونها غفارة بكسر الغين وهو افصح ما جاء فى هذا المعنى . قال فى تاج العروس : « المغفر كمنبر والمغفرة بهاء او الغفارة ككتابة : زرد من الدرع ينسج على قدر الراس يلبس تحت القلنسوة . ويقال : هو رفرف البيضة ... قال ابن شميل : وربما كان المغفر مثل القلنسوة غير انها اوسع يلقيها الرجل على راسه فتبلغ الدرع ثم تلبس البيضة فوقها

[1] Olivier. — Voyage dans l'Empire Othoman, l'Egypte et la Perse. T. IV. p. 327.

(٢) قال صاحب لغة العرب : ان الكلمة الفرنسية التى عربناها بالفينة هى bonnet وانما سميناها بالفينة لان نساء بغداد النصرانيات كن يلبسن قبل ٣٠ سنة الفينة المذكورة ويسمينها بهذا الاسم « وكانت امى وجدتى تلبسانها . وسمعت جدتى تقول : انها ملبوس نسآء العراق منذ عهد عهيد . فاللفظة اذاً سابقة لعهد اوليفية بكثير

فذلك المغفر يرفل على العاتقين . وربما جعل المغفر من ديباج وخز اسفل البيضة .... وربما بضنوها وظهروها بديباج او خز او بزيون . هكذا ضبطها ابو عبيدة . وحشوها بما كان . وربما اتخذوا فوقها قوساً من فضة . وغير ذلك . انتهى . قلنا : فاطلاق اسم الغفارة على الطربوش فصيح اذاً من باب التوسع ومن باب ابقاء الاسم على مسماه وان تغيرت مادته فاحفظه تصب ان شاء الله تعالى .

انجف — محمد باقر الشبيبي

﴿ نهر الرشادي في الديوانية ﴾

Le Canal Rachady.

فتح هذا النهر في زمن المتصرف خيري بك ﴿ سنة ١٣١٩ه = ١٩٠١م ﴾ وقد شق من ﴿ بحيرة ابن نجم ﴾ التابعة لقضاء الشامية . وهو يبعد عن مركز اللواء ثلاث ساعات ولشدة ضيقه لم يجر فيه الا شيء قليل من الماء . ولما تعين محمد صالح افندي نائب لواء الديوانية للنيابة في اللواء سنة ١٣٢٦ ونقلد وكالة المتصرفية بلغه امر النهر فامر ان يشارف وبعد الاطلاع عليه وجده قابلاً للتوسيع وارواء ماتحته من الاراضين فانشأ لجنة لجمع اعانة تقوم بحفره فوسع وكري وجرى فيه الماء الكافي . ثم شوق الاهالي الى جلب معينات ﴿ مكينات ﴾ لجر الماء فجلبوا منها نحو ٢٠ منضحة ﴿ طرمبة ﴾ بخارية وركبوها على النهر .

ولما قدم لواء الديوانية والي بغداد جمال بك ﴿ سنة ١٩١٢ ﴾ اوقفه النائب الموما اليه على النهر ورغبه في تخصيص مال ينفق على توسيعه لتزيد زراعة مايسقيه وتنمو وارداته فخصص له نحو الف ليرة . وفي تلك الاثناء تعين متصرفاً للديوانية احمد مدحت افندي فلم يلتفت الى الطريق